افتتاحية العدد ..

نحو إعادة الوصل بين علوم الوحي والدراسات الإنسانية

عبد الرزاق بلعقروز، رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين:

لا شكَّ أنَّ واقع المعرفة في العالم الإسلامي يحتاج إلى يدٍ تأخذ به إلى صورة جديدة من التَّفكُّر والمنهج، صورة تُعيد ترتيب العلاقة بين العلوم والمعارف؛ من أجل الوفاء المزدوج لمرجعية الوحي من جهة، ولمنجزات المعرفة الإنسانية في شتَّى الحقول العلمية من جهة أخرى، وبيان ذلك أنَّ الوحي الإسلامي شكَّل في أنساق المعرفة الإسلامية ناظمًا منهجيًّا ومعرفيًّا، لكافة الجهود العلمية التي أنجزها علماء الإسلام؛ حيث كانت روح القرآن الكريم تُتْلى قراءة، وتُتْلى منهجًا أيضًا، والقصد بالتِّلاوة المنهجية للقرآن الكريم:

إعمال الرؤية القرآنية في التَّفكير والبحث والسُّلوك، وسريانها في العلوم التي تفرَّعت من هدي الوحي القرآني، وكانت موصولة بالتلاوة المنهجية للقرآن.

ولم تتوقَّف هذه الرؤية عند هذا المستوى من إنشاء العلوم الدَّاخلية؛ وإنَّما كانت أيضًا منهجًا قويمًا في فقه التَّعامل المنهجي مع العلوم، التي اكتشفها علماء الإسلام؛ إذ إنَّ علوم الأوائل التي وفدت إلى العالم الإسلامي، تعاطى معها علماء الإسلام بمنهجية تقريبية تداولية، وكان معيار التَّعاطي هو روح القرآن، ونسق المنهج الإسلامي؛ فجلبوا منها القوة المنهجية في المنطق، وربطوها بأصول الفقه، وناهضوا الفلسفات المعادية للشَّرائع، وقرَّبوا علوم الأخلاق، بعد أن حذفوا منها الصفات التّجريدية والنظرية المرتبطة بها في مظانِّها الأصلية، وبهذا أُقيمت آليات ناجعة في كيفية الاستفادة من علوم الغير، ومدى الحاجة إلى وسائلها المنهجية، في التَّفكير والسلوك.

إنَّ مجلة (**نماء لعلوم الوحي والدِّراسات الإنسانية**)، تدرك واقع الانفصال الحاصل بين علوم الشريعة وعلوم الإنسان، وتدرك أنَّ هذا الانفصال هو نتاج ظروف معرفية، وليس من صميم

المعرفة الإنسانية، والقصد بذلك: أنَّ هذا الانفصال جاء بصورة إكراهية-تلازمية مع العقل الوضعي الذي يقطع الاتصال بين الوحي والإنسان، ويدفع بهذا الانفصال إلى مجالات أخرى، منها مجال التَّعليم الذي يُعدُّ الأرضية الجلية التي يظهر فيها الازدواج، أو الفجوة المفتعلة بين العلم والدين؛ إذ يتم تبنِّي معيار زمني في المفاضلة بين النَّسق العلمي والنَّسق الإيماني؛ فأنساق العلوم الشرعية، هي معارف تقليدية تراثية، وأنساق العلوم المعاصرة هي النَّمط المعرفي الحقيقي والصَّحيح، لكن ما لبثت تطورات العلوم المعاصرة أن كشفت لنا زيف هذه التَّقابلية، فالعلم لم يعُد يتمتَّع بالقيمة السَّابقة؛ لأنَّ رقعة المجهول أضحت أوسع من رقعة المعلوم، والعقل أبان بنفسه عن محدوديته ونسبيته، وانكشفت طبيعة الرؤية العلمانية الثاوية خلف العلوم، وهي في حقيقتها رؤية مادية إلى العالم هيمنت على العقول والنفوس ردحًا من الزمن، ولكنَّها اليوم أضحت عاجزة عن أن تقدِّم تفسيرًا كليًّا للعالم والإنسان.

إنَّ الرؤية المعرفية التي تتبنَّاها مجلة نماء، تتأسَّس على هذا الوصل بين علوم الوحي، وبين منجزات المعارف الإنسانية؛ كي يحصل الإدراك السليم للواقع، وكي تتم الاستفادة من إنجازات العلوم، وإسكانها في نسق الوحي الإسلامي؛ من أجل تحقيق التَّركيبة الخلاقة المبدعة التي تكامل بين علوم الوحي وعلوم الإنسان.

من هنا: فإنَّ العقل المسلم يكون قصده في التَّوجه الانطلاق من الوحي كقيمٍ عُليا حاكمة، والاستفادة من جهود العلماء المسلمين في مجالات العلوم التي أنشؤوها في التاريخ، والأخذ من العلوم المعاصرة في حقولها الاجتماعية والإنسانية؛ من أجل الفهم العلمي السليم، ومن أجل صناعة إنسان التربية الإيمانية، الإنسان الذي يُجدِّدُ أشواقه الرُّوحية، ويجعل من عمارة الأرض بالخير وفق الهدى والصَّلاح نبراسًا يهتدي به؛ **وبهذا: فإنَّ الانطلاق نحو فكر إسلامي متجدد، يُكامل بين الوحي وعلوم الإنسان، أو بين الشريعة والحكمة بلغة الحكماء،**

يكون مشروطًا بالعناصر المحركة الآتية:

- **كتاب الوحي:** وصورته الأُولى هي الوحي القرآني المكتوب، وصورته الثانية هي عالم الكون المنظور.

- **العلوم الاجتماعية والإنسانية وموضوعها الواقع،** ثُمَّ القيم الأخلاقية التي موضوعها الإنسان في جوانبه الجسمية والنَّفسية والرُّوحية.

ذلك أنَّ الوحي في القرآن المكتوب، هو أقوى دافع للعقل الإنساني كي يستنهض قدراته الكامنة، ويَشْرَعَ في التَّكامل مع العلوم، أو إنشاء علوم جديدة، والوحي الثاني -أي: الكون- يكون الفضاء الذي يتحرَّك فيه العقل المسلم، من أجل اكتشاف السُّنن المبثوثة في الطَّبيعة، وتسخيرها بما يحقق مقاصد الصَّلاح في العاجل والآجل، ويكون قصده في تحريك العقل نحو كتاب الوحي الكوني، الوصول إلى الله؛ لأنَّ أيَّ علم في الرؤية الإسلامية إلى العالم، يكون قصده النهائي: إثباتَ أنْ لا إله إلا الله، ولـمَّا كان الواقع معقَّدًا ومركَّبًا؛ فإنَّ الأداة الحيوية للعقل المسلم من أجل فهمه وتدبيره: هي توظيف أدوات

ذلك أنَّ الوحي في القرآن المكتوب، هو أقوى دافع للعقل الإنساني كي يستنهض قدراته الكامنة، ويشرَعَ في التكامل مع العلوم، أو إنشاء علوم جديدة.

المنهجية التي تُزوِّدنا بها العلوم الإنسانية والاجتماعية التي يكون موضوعها هذا الواقع بكافة مركباته الثقافية والتاريخية والمعاصرة، هذه الأدوات لا تطبق كما جرى تطبيقها في بيئتها المعرفية الأصلية، وإنَّما من اللَّازم إعادة تركيبها، بما يجعلها فاعلة إيجابيًّا في فهم الواقع الإسلامي فهمًا أحسن وأكمل، كي يكون تنزيل الحكم الشرعي بعدها تنزيلًا صائبًا، ويستجيب للحاجات الفعلية كمشكلات حيّة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة المعيشة، وتكون الواجهة الرابعة هي القيمة الأخلاقية، أو المقاصد الأخلاقية التي تحفظ للإنسان قِيمَهُ الكُبرى الحاكمة: (التوحيد، والتَّزكية، والعمران)، ذلك أنَّ

مقاصد التشريع بما هي جهود باحثة في مصالح العباد في العاجل والآجل، تُعدُّ في صميم فلسفة القيم الإسلامية، فهي تربط التَّشريعات الفقهية والتنظيرات المعرفية بالبعد الأخلاقي؛ لأنَّها في المآل تروم تجديد إنسان التَّزكية، باعتباره الأداة العملية التي يستعيد بها فطرته الأخلاقية الزَّكية، ويكون إنسانًا ساعيًا إلى بلوغ النُّضج والكمال في فكره وسلوكه.

وإذ تعيَّنت هذه الخصِّيصة المنهجية في رؤية مجلة (**نماء**) بعامة؛ فإنَّنا نقول: إنَّ المركبة الفضائية التي تنطلق منها، تتكوَّن من أربعة أرجل هي تواليًا: (الوحي القرآني المكتوب، والوحي الكوني المخلوق، والعلوم الفقهية والإنسانية، وفلسفة القيم الأخلاقية)؛ فالأولى: تُنتج علوم الوحي، والثانية: تُنتج العلوم الطبيعية، والثالثة: تكون أداة منهجية لفهم الواقع، والارتفاع به إلى مقتضيات الوحي، والرابعة: تُنمِّي القوة الروحية في الإنسان، وهذه العناصر تعمل في بنية ترابطية وتكاملية، تكون القيمة العُليا فيها للتوحيد، كمعيار وقانون كُلِّيٍّ حاكم على العناصر المنهجية الثلاثة الأخرى.

لأجل هذا: جاء هذا العدد الأول من مجلة (نماء)، كي يكون عددًا فاتحًا، ومُلفِتًا النَّظر إلى أهمية الوصل، وإعادة الدَّمج بين علوم الوحي والعلوم الإنسانية، كما يتبدَّى في مجمل النُّصوص المبثوثة، ونرجو من القيادات الفكرية للأمة المسلمة وللإنسانية كلها، ومن عموم الباحثين والمثقفين، أن ينخرطوا معنا في هذا المشروع الحضاري الذي يريد أن يضع قضايا الأمة على محكِّ هذه المنهجية الجديدة في النَّظر.

فجاء ملف العدد متنوعًا في مواضيعه وطريقة تناوله لهذه المواضيع، لكنَّ الخيط المنهجي الذي يحتوي هذه النُّصوص هو خيط منهجية الوصل بين علوم الوحي والعلوم الإنسانية؛ إذ نجد البحث الأول لـ (**الحسان شهيد**)، والموسوم بـ: «**علوم الوحي والعلوم الإنسانية.. قراءة في الاتصال والعلاقة**»، أشار فيه إلى أنَّ إشكالية الانفصال

فجاء ملف العدد متنوعًا في مواضيعه وطريقة تناوله لهذه المواضيع، لكنَّ الخيط المنهجي الذي يحتوي هذه النُّصوص هو خيط منهجية الوصل بين علوم الوحي والعلوم الإنسانية.

بين علوم الوحي والعلوم الإنسانية، لم تكن مطروحة في السياق العلمي الأصلي؛ وإنَّما ظهرت بسبب الاختلالات المنهجية والمعرفية التي ظهرت في كِلَا النَّسقين، ويُطالعنا الحسان شهيد بجملة المسوغات التي تدفع بالعقل المسلم إلى أهمية الوصل بين علوم الوحي والعلوم الإنسانية، فثمة مسوغات منهجية هي: القراءة المتبادلة، والتَّناسب المجالي، وثمة مسوغات معرفية هي:
النَّظر التَّكاملي، ووصل المكونات، وثمة مسوغات مقاصدية وهي: قانون المصلحة، والحكمة المطلوبة.

أمَّا بحث (**عبد الحليم مهور باشة**): «**دور التَّكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم الإنسان في فهم الواقع**»؛ فقد لفت فيه النَّظر إلى أهمية التَّكامل بين علوم الوحي والعلوم الإنسانية في مقاربة الواقع، والسُّبل المنهجية للارتقاء به من صورته الواقعية إلى صورته المثالية، حيث وقف على مفهوم الوحي ومفهوم الواقع، وعلى طبيعة المنزلة المعرفية التي شغلتها علوم الوحي (الإسلامية) في التراث الإسلامي، ثم طبيعة السياقات التاريخية التي تشكَّلت في ضوئها علوم الإنسان؛ ليتوجه بهذه التمهيدات المنهجية إلى الحلقة الأكثر حساسية، من جهة طرحه لسؤال: **كيف يُمكننا الوصل معرفيًّا بين علوم الإنسان وعلوم الوحي في المجال التداولي الإسلامي؟ وهل يمكِّننا التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم الإنسان من فهم الواقع؟**

وأشار (**العياشي أدراوي**) في بحثه: «**تكامل المعارف ودوره في فهم الدِّين**»، إلى مفهوم التكامل المعرفي وجدواه، وإلى الأساس التكاملي للعلوم والمعارف، وإلى التفاعل بين المعارف

البشرية والمعارف الدِّينية، مُؤكِّدًا على أهمية التوليف المنهجي بين علوم الوحي، والعلوم المتجددة، تبعًا لتجدد أحوال النَّاس وعوائد العمران، وبهذا المنظور في الرؤية، يرى (أدرواي): أنَّ التكامل هو قانون صائب دومًا، وأيّ محاولات تنظر من زمن معيَّن، أو من حقبة تاريخية لها منظومة علوم معيَّنة، باعتبارها المعيار الذي نقيس عليه غيره؛ كل ذلك يُعيق تطور الفهم البشري للنَّص الديني، مثلما يَحُدُّ من فاعلية هذا النص على مستوى التمثل النظري والإدراك التجريدي قبل مستوى التجلي الواقعي والتأثير العملي.

وكشف (**نصر الدِّين بن سراي**) في بحثه الذي حمل عنوان: «**علاقة الرؤية إلى العالم بالتَّكامل المعرفي: مدونة أبي حامد الغزالي أنموذجًا**»، عن القيمة المركزية للتوحيد في نسيج العلوم الإسلامية، وأثرها في تحقيق التَّكامل المعرفي، مُشيرًا إلى جملة عناصر مهمة، منها: تصنيف العلوم من منظور أبي حامد الغزالي، ومظاهر حضور الرؤية الكونية التوحيدية في التكامل المعرفي عند أبي حامد الغزالي، وأيضًا: التكامل بين العلم والعمل، والتكامل في الفعل التربوي السياسي، ويبدو أنَّ غرض الأستاذ من هذه الحوارية المعرفية مع أبي حامد الغزالي، لفت النَّظر إلى مناهج المتقدِّمين، وإلى إمكانية استثمارها وتحيينها في الدرس التكاملي المعاصر.

أمَّا الدراسات الفكرية من خارج الملف؛ فجاءت متنوعة ومنفتحة على حقول معرفية متعددة، استهلت بدراسة (**هشام المكي**) الموسومة بـ: «**خطاب الإعلام الإسلامي: المآزق النظرية والآفاق البحثية**»، التي عمل فيها على تحليل الأسس النظرية التي يقوم عليها مفهوم الإعلام الإسلامي، وما تُفضي إليه من مآزق منهجية، مُبيِّنًا أنَّ مجهود (أسلمة) الإعلام لم يستطع التحرر من الأسس الإبستمولوجية للإعلام الغربي، رغم أنَّ تلك الأسس ترتد في أصلها إلى الحمولة الدينية المسيحية.

أمَّا (**طارق عثمان**) في دراسته: «**نزعة سلفية: الحداثة من منظور ليو شتراوس**»، فحاول أن يُبيِّن أنَّ نقد الحداثة قد لا يندرج بالضرورة في إطار أدبيات فلسفة ما بعد الحداثة، وذلك بالاشتغال على الفيلسوف الألماني ليو شتراوس نموذجًا؛ ليخلص إلى أنَّه قد وجَّه نقدًا أخلاقيًّا إلى الحداثة، يتعلَّق بوجهها السياسي خصوصًا، وهو النقد الذي مثل حصيلة لنقد شتراوس لكل من الوضعية، والتاريخانية، والعدمية، والديمقراطية الليبرالية.

أمَّا (**ربيع الجوهري**)، فقد خصَّص دراسته: «**السينما والهوية الوطنية: في تداخل الأيديولوجي والجمالي**»؛ ليبحث في كيفية حدوث تقطعات ما بعد كولونيالية في البنية الإمبريالية السينمائية ذات البعد الهوياتي المتجانس والمستمر، من خلال مقاربة مسار الهوية الوطنية في علاقتها مع القومية والإمبريالية، وليُبيِّن كيف يعمل المخرجون باختلاف مواقعهم على تكييف جمالياتهم خدمة لطريقة تقديمهم الفيلمي لهذه التيمات.

في حين يعمل (**ياسين السالمي**) في دراسته: «**موقف المعتزلة من الاختلاف العقدي الواقع بين الفرق الإسلامية**» على محاولة تبيُّن موقف المعتزلة من الاختلاف العقدي بالاستناد إلى ما جاء عند المعتزلة أنفسهم في كتبهم من خلال جهد تحليلي متميز.

كما يضم هذا العدد حوارًا حول قضية التكامل المعرفي مع (**فتحي حسن ملكاوي**)، المدير الإقليمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن.

بالإضافة إلى ترجمتين لنصين مهمين، **الأول:** للفيلسوف الفرنسي **إدغار موران**، وقد ترجمه العمري حربوش، **والنص الثاني:** للأنثربولوجيِّ **طلال أسد**، من ترجمة كريم محمد، بالإضافة إلى تقارير عن ملتقيات علمية دولية، ومراجعات كتب.

عبد الرزاق بلعقروز

رئيس التحرير